

التقص والإبرام والبسط والاتقان ومنها أن يعلم أدوات الإسهاب والتطويل والإيجاز والتخفيف فقد ينفق ما يحتاج إلى الإكثار حتى يستغرق في الرسالة الواحدة أقدار القصائد الطويلة وينفق أيضاً ما تغنى فيه الإشارة وما يجرى مجرى البعض في الدلالة. ومنها من يعرف من أحكام الشريعة ما يقف على سواء السبيل فلا يشتط في الحكومة، ولا يعدل فيما يخط عن المحجة، وإنما هو يترسل في عهود الولاء والقضاء وتأكيد البيعة والإيمان وعمارة البلدان وإصلاح فساد وتحريض على جهاد وسد ثغور ورتق فتوق واحتجاج على فئة أو مجادلة مللة أو دعاء إلى ألفة أو نهى عن فرقة أو تهنئة بعطية أو تعزية برزية أو ما شاكل ذلك في جلائل الخطوب وعظام الشئون التي يحتاج فيها إلى أدوات كثيرة ومعرفة مفتنة.

فلما كان الأمر على هذا صار وجود المتكلفين بجودة النثر أعزّ وعددهم أنذر وقد سمتهم الكتابة بشرفها وبوأتهم منزلة رياستها فأخطارهم عالية بحسب علو صناعتهم ومقاعد رياستهم وشدة الفاقة إلى كتابتهم. والشعراء إنما أعراضهم التي يستبدون نحوها وغاياتهم التي ينزعون إليها. وصف الديار والآثار والحنين إلى المعاهد والأوطان والتشبيب بالنساء والمبالغة في التشبيه والأوصاف فإذا كان كذلك لم يبلغوا في المضممار ولا تقاربوا في الأقدار وهذا القول كاف (انتهى (ص ٧))